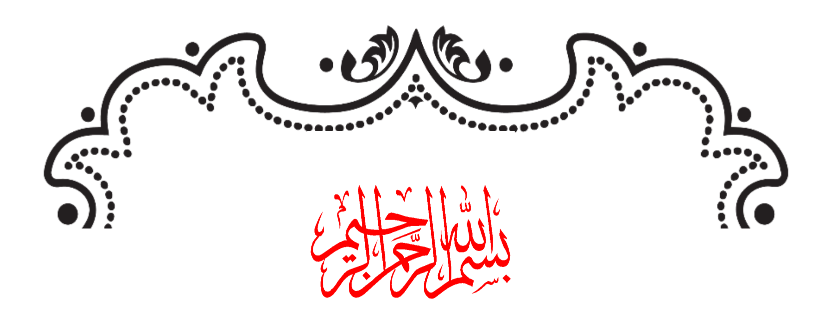
أسباب الثبات على دين الله

جمع وإعداد

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد





إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنّ أعظم نعم الله على عبده إطلاقًا هدايته له وتثبيته له على هذا الدّين، بأن يرشده لسنن الهدى، ويأخذ بيده إلى سبيل الرّشاد، ويبعده عن مسالك الغواية والضلال، وطريق المغضوب عليهم والضّالين ومن نحا نحوهم.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤].

فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنّه لولا تثبيته لنبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنّه قد كاد يُغلب من قبل المشركين فيركن إليهم، وحاشاه أن يفعل ذلك، لكن إشارة إلى قوّة تأثير الشبهة، قال في الآية التي تليها: ﴿ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٥].

يخبر الله تعالى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الآية أنه لو ركن للمشركين ولو الشيء القليل لأذاقه ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات، هذه الآية موجهة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ .

والله إن حاجة أمته عليه الصلاة والسلام -من باب أولى- إلى تثبيت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم في كلّ شيء، وفي كل لحظة، المسلم بحاجة إلى الثبات على الصراط حتى الممات، وإذ أنه كلما زاغ القلب عن الدّين ولم يثبت؛ تعرّض صاحبه للعقوبة الدنيوية والأخروية.

فمن استقام وثبت على الدين ثبته الله، فباستقامة أهل الإيمان على الدّين، يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ لأنّ الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

فالثبات على الدّين هو نتيجة توفيق الله لعبده ورحمته به؛ كما أنّ خذلان الله للعبد حاصل إذا لم يثبت على الدين واستقام عليه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ولأهمية هذا الموضوع، ألا وهو موضوع: **"أسباب الثبات على دين الله"**، أحببت أن أتكلم عنه اليوم، وبالأخص في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وزلت فيه الأقدام، وانتكست فيه الفطر لدى الكثير من الناس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»[1].

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١١٨).

(**الفتنة**): كالبليّة والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية، والكرب والأمراض، وغيرها من المكروهات.

(**كقطع اللّيل المظلم**): أي: كقطع من الليل المظلم لفرط سوادها وظلمتها وعدم تبين الصلاح والفساد (١). أي تختلط الأمور، يتيه الناس، لا يعرفون هل هم على حق أم لا بسبب الفتن المتراكمة.

ففي هذا الحديث الحثّ على المبادرة والمسارعة إلى الأعمال الصّالحة قبل تعذر الاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشّاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام اللّيل المظلم، ووصف صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أنّه يمسي مؤمناً ثمّ يصبح كافراً، أو عكسه، وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في أقل من يوم هذا الانقلاب بسبب الفتن أعاذنا الله منها وثبتنا على دينه حتى نلقاه.

وعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُنَّ أَنَّهَا قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً، قِيلَ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**» (٢).

(**الرَّدْم**): السَّدُّ الَّذِي بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ (٣).

استيقظ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ من نومه فزعاً، وعلى وجهه علامات الخوف، (**مُحْمَرًّا**) من شدة الفزع، وهو يقولُ: «**لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، توقع منه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ واخباراً أن هناك أمراً مكروهاً سيحدث، ولا نجاة منه إلا باللجوء إلى الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

ثم قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «**وَيلٌ لِلعَربِ مِن شَرٍّ قدِ اقتَرَبَ**» أي قريب وقوعه، و(الوَيلُ) كلمة تهدد ووعيد، تقال لمن وقع في هلكة.

---

(١) تحفة الأحوذي (٦/٣٦٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/١٠٧).

فلمَّا سمعت أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هذا الكلام من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وخوفه الشديد، وفزعه واحمرار وجهه، خافت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقالت: «يا رَسولَ الله، أَنَهْلِكُ وفِينَا الصَّالحونَ؟»، أي: كيف يسلط الهلاك والعذاب ومنهم صالحون!، فقال لها النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**»، وما هو (الخَبَثُ): الفسوق، والفجور، والمعاصي، مثل الزنا، وشرب الخمور، والسفور، والتبرج، وانتشار الغيبة، والنميمة، والقطيعة والتدابر بغير حق، وعقوق الوالدين، والتهاون في الصلاة وتأخيرها عن أوقاتها، والكذب، واستحلال المعازف، والربا، وظهور الكاسيات والعاريات، وغيرِها من أنواع الذنوب والمعاصي، فوالله إذا كثر المتجرئون على معاصي الله، وفشت المنكرات بين الناس ولم ينكرها أحد؛ عمَّ الهلاك على الجميع، ولو كان فيهم الصالحون، كما جاء في الحديث، ففي هذا الحديث ينذر عليه الصلاة والسلام بأنه إذا كثر الخبث عمَّ العقاب على الصالح والطالح.

إذن حاجة المسلمين اليوم لمعرفة أسباب الثبات على الدين والتمسك به عظيمة جدًا، وحاجة ماسة؛ وذلك لانتشار الفتن، ولضعف الدين، وانتشار الجهل، ولغربة الدين في هذا الزمن، فمن هنا تظهر أهمية معرفة أسباب الثبات على الدين.

أسباب الثبات على دين الله

١- التمسك بكتاب الله: التمسك بالقرآن حفظاً، وتلاوة، وعملاً، القرآن هو حبل الله المتين الذي من تمسك به عصمه الله، ومن أعرض عنه ضل وغوى.

وقد أخبر الله أن الغاية التي من أجلها أُنزل القرآن مفرقاً على نبينا محمد هو التثبيت لفؤاد الإنسان وقلبه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢]، فالغاية العظمى للقرآن الكريم أن يثبت به فؤاد العبد، وخاصتاً عند المحن والفتن، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

فالعناية بكتاب الله فيه الهداية للبشرية، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

فالقرآن كلام الله، عندما يقرأه الإنسان ويتأمل آياته ويفهم معانيه؛ لا شك أنه يزداد إيمانه ويقوى، وبالتالي يزداد ثباته على الدين، لكن في هذا الزمان كثر القراء، وقل العلماء، كثر الحفاظ دون العمل بمقتضاه، فمن المشاهد كثرة حفظ القرآن في هذا الزمن دون العمل به، ربما يحفظ البعض القرآن من أوله لآخره ولا يعملوا بالأوامر التي أمرها الله فيه أو لا يتركون ما نهى الله عنه، ومن كان هذا شأنه فقد أقام الحجة على نفسه.

وكذلك في هذا الزمن، يوجد من الناس من هجر القرآن، بل يمر على البعض الشهر والشهران لا يفتح فيه القرآن، والله أن هذا لخذلان.

بل أن هناك من لا يفتح القرآن إلا في رمضان، وإذا انتهى رمضان انتهى عهده بالقرآن، فهذا هو الخسران، إذا لم يسمى بالخسران فماذا يسمى!.

فينبغي على الجميع أن يعتنوا بكتاب الله حفظاً وعملا وتلاوتاً، فينبغي عند قراءة القرآن أن لا يكون هم الإنسان كم قرأت!، إنما كيف قرأت، ينبغي أن لا يكون هم الإنسان كم حفظت! إنما هل فهمت مراد الله!، هل عملت بكلام الله!.

وعليكم بقراءة تفاسير القرآن، ولله الحمد أهل العلم -جزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء- كتبوا في تفسير القرآن وبيان معانيه كتباً كثيرة بين موسع ومختصر، اعتنوا ببيان معاني القرآن، فيحتاج المسلم أن يمر على تفسير ولو واحد من كتب التفاسير للعلماء الربانين حتى يفهم مراد الله.

ومن أحسن التفاسير التي تناسب المبتدئين -بل يحتاجها العلماء أيضاً- التفسير المعروف "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فالشاهد أن الإنسان يحتاج إلى أن يعتني بالقرآن ودراسته ليزداد إيمانه، وبالتالي يثبت على دينه، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

قَالَ قَتَادَةُ: "لَمْ يُجَالِسْ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ"[(١)]، معنى ذلك إذا تعلم القرآن وفهمه وعمل به زاد إيمانه، وإذا أعرض عنه نقص إيمانه.

فالتمسك بالكتاب عصمة وأمان من الضلال، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»**[(٢)].

القرآن هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، كتاب الله أعظم ما يقتدي به الناس؛ لأنه كلام الله، فيه الهداية، فيه النجاة، فيه النور، يبدد الظلمات، ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥]، لن نرى نور الحق إلا من خلال القران، النور يحتاجه الناس في الدنيا ليسيروا في طريقهم بأمان، وهم أشد حاجة لنور القرآن ليخرجوا من هذه الدنيا بأمان.

فالقرآن هداية، هو هداية إلى الطريق الصحيح، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٦].

---

(١) تفسير البغوي (١٢٣/٥).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٧٠/٢) برقم (١٨٧٤).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ﴾ **ظلمات الكفر والبدعة والمعصية، والجهل والغفلة، إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم والذكر**"(١).

فنور القرآن يثبت الإنسان، ويحميه من الغرق في وحل الظلام، نسأل الله أن يثبت القران في قلوبنا، وأن يرزقنا فهمه، والعمل به، وأن يجعله حجة لنا لا علينا.

٢- ومن أسباب الثبات على دين الله: اتباع سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

إنّ من أهمّ أسباب الثبات على دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، لزوم سنّة النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ واتباع هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، في القول والعمل والمعتقد.

والاتباع: أن يفعل المسلم مثل ما فعل النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، على الوجه الذي فعل، لأجل أنّه فعل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ(٢).

فما فعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نفعله وما تركه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نتركه، والمتابعة تشمل الدّين كلّه، فلا بد منها في جميع الطاعات، وتقاس منزلة العبد في الجنة باتباعه للسنة، فكلمّا كان أتبع لمحمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كلّما كان أعظم إخلاصًا لله، وأكثر ثباتاً.

يقول شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وكلّما كان الرّجل أتبع لمحمّد** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **كان أعظم توحيدًا لله وإخلاصًا له في الدّين، وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك**" (٣).

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

أمر الله كل من ادّعى محبته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بإثبات ذلك بالدّليل، والدليل هو اتباع الرّسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، يقول شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**طالب الله مدّعي**

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٢٦).

(٢) انظر مجموع الفتاوى: (١/٢٨٠) و(١٧/٤٦٦-٤٦٧).

(٣) مجموع الفتاوى: (١٧/٤٩٨).

محبته بقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، **قال الحسن البصري: ادّعى قوم على عهد رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **أنّهم يحبون الله؛ فطالبهم بهذه الآية؛ فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده"**[1].

وقد ضرب النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مثلاً لمن قبل سنته وعمل بها، ومن أعرض عنها بقوم أتاهم النذير فقبل منه بعضهم فنجوا، وأعرض عنه آخرون فهلكوا.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ**»[2].

فاتباع السنة فيها النجاة كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "**إِنَّا نَقْتَدِي وَلَا نَبْتَدِي، وَنَتَّبِعُ وَلَا نَبْتَدِعُ، وَلَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ**"[3].

ويقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**كَانَ يُقَالُ: خَمْسٌ كَانَ عَلَيْهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **وَالتَّابِعُونَ بِإِحْسَانٍ: لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ، وَعِمَارَةُ الْمَسَاجِدِ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**"[4].

التمسك بالسنة هو الفلاح، هو النجاة، هو الطريق الوصول إلى الله، سُئِل الحسنُ الجوزجاني رَحِمَهُ اللَّهُ: **كيفَ الطريقُ إلىَ الله؟** فقال: "**الطرُقُ إلىَ اللهِ كثيرةٌ، وَأَوْضَحُ الطرُقِ**

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢/٤٥٤).

(٢) متفق عليه.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: (١/٩٦)، رقم: (١٠٥).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي: (١/٧١) رقم: (٤٨).

وأبعَدُها عنِ الشبهِ اتباع السنة قوْلًا وَفِعْلًا وَعزْمًا وَعقْدًا ونيةً؛ لأَن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾"، فقيل له: **كيفَ الطريقُ إلىَ السنةِ؟** فقال: "**مُجانبة البِدعِ، واتباع ما أجمعَ عليهِ الصدْرُ الأول منَ عُلَماءِ الإسْلام، والتباعدُ عنْ مجالِسِ الكلامِ وأهلِهِ؛ ولزوم طريقةِ الاِقتداءِ وبذلكَ أُمِرَ النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **بقولهِ تعالى:** ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾"[1].

فلا نجاة من ظلمات الدنيا والآخرة إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، والله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يوفقنا جميعاً للتمسك بكتابه، وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والعمل بهما.

٣- طلب العلم: العلم من أعظم الأسباب على الثبات على دين الله، ولهذا جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة الحاثة على طلب العلم.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٩]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:١١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**»[2].

بالعلم يعرف العبد ربه، فإذا زادت معرفة العبد بربه وبأسمائه وصفاته لا شك يزيد إيمانه ويزيد ثباته على دين الله، لذلك أشد الناس خشية لله وخوفاً لله ومراقبة له هم العلماء، لأنهم هم الذين عرفوا الله، عرفوا أسماءه وعرفوا صفاته، وعرفوا عظمته وكماله وقوته وجبروته ورحمته وكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلى سبيل المثال؛ أذا عرف العبد اسم الله البصير، وأن بصر الله نافذ كل شيء، "﴿ بَصِيرٌ ﴾ **يرى دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة**

(١) الاعتصام للشاطبي (١/١٢٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٩٩).

الظلماء"[١]، سبحان الله نحن المخلوقين الضعفاء مهما أوتينا من قوة في البصر، إذا مررنا في ظلمة الليل ما نرى الصخرة وإن كانت كبيرة في حجمها، أو كانت قريبة من أحدنا! بل لا نرى الجبال الشاهقة في ظلمة الليل ونحن بالقرب منها!، ولكن البصير سبحانه، يرى النملة الصغيرة، النملة السوداء في الليلة الظلماء، ويرى جريان الدم في عروقها، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يرى كل شيء، لا يغيب عن بصره سُبْحَانَهُوَتَعَالَى شيء، سبحانه تقدس وتعاظم وتعالى، فإذا عرف العبد ربه حق المعرفة زاد حبه لله، وخوفه ورجاؤه، زاد تمسكه بأوامر ربه وترك نواهيه، فيزداد ثباتاً على دين الله.

وبالعلم يعرف الإنسان كيف يعبد ربه، يعرف الحلال من الحرام، الحق من الباطل، لذلك ينبغي العناية بطلب العلم، فإنه من أعظم القربات وأحبها إلى الله، وخاصةً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن، وكثر فيه التجرؤ على دين الله، هذا الزمن كثر فيه المتعالمون وقل العلماء، كثر فيه أئمة الضلال وقلَّ فيه أئمة الهدى، كثر فيه الحفاظ وقلَّ فيه الفقهاء، هذا الزمن -زمن التكنلوجيا-، الانترنت؛ اختلط الحابل بالنابل كما يقولون، في الماضي كانت البدعة في مكانها لا تنتشر محصورة في مكانها، أما الآن سرعان ما تنتشر البدعة بين مشارق الأرض ومغاربها خلال دقائق معدودة عبر وسائل التواصل الحديثة.

وللأسف أهمل الناس طلب العلم في هذا الزمن، فبسبب بعد الناس عن العلم الشرعي مع وجود هذه الوسائل الآن؛ السنة أصبحت غريبة والبدعة صارت عزيزة، ماتت السنن وقامت البدع على قدم وساق والعياذ بالله، لذلك تظهر أهمية العلم الآن وبشدة، لماذا؟ حتى أميز بين السنة والبدعة، حتى أميز بين الحق والباطل، حتى أميز بين أئمة الهدى وبين أئمة الضلال.

من المهم جداً أن يميز الناس بين أئمة الهدى وأئمة الضلال، لأن العلم دين فينبغي أن يأخذ من أهل الدين السائرين على هدي سيد المرسلين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، حتى لا يتفاجأ الناس يوم القيامة وقد صرفوا أعمارهم في تعلم العلم ومجالسة من اعتقدوا أنهم من أئمة

---

(١) تفسير السعدي (صـ٥٤٣).

العلم، وهم من أئمة الضلالة، فتكون أعمالهم أمامهم يوم القيامة هباءً منثوراً، ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

والله ما خاف الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ علينا من أئمة الضلال إلا لخطورتهم، «**إِنَّ مِنْ أَخْوَفِ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»[١]، لماذا خاف عينا منهم؟ لأن هؤلاء يدعون إلى البدع المؤدية إلى الضلال عن طريق الحق، هؤلاء خطرهم عظيم، ضلوا وأضلوا، أضلوا الناس بفتاويهم المخالفة للشرع، خطرهم عظيم؛ لأنهم أفسدوا عقول الناس من حيث لا يعلمون، أخرجوا الناس عن الطريق المستقيم بسبب الشبه التي ألقوها عليهم.

وأذكر حديث يبين لنا خطورة الأمر؛ ويخلق الله مالا تعلمون، عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»[٢].

فلنسأل أنفسنا؛ أليس كل فرقة من تلك الفرق لها علماءها؟ أليس كل فرقة من تلك الفرق لها كتبها؟ لها فتاويها؟ لها قنواتها؟ لها مشايخها؟ الجواب؛ نعم، إذن هنا تظهر أهمية طلب العلم، ومن الطبيعي أن الإنسان الذي ليس لديه حصانة علمية كافية يقع فريسة لتلك الفرق، ويغرق في وحل البدع، فالذي لا يقف على أرض صلبة يغرق.

فلأجل أهميته كان العلم من أعظم القرب، قال الإمام أحمد: "**العِلمُ لا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ لِمَنْ صَحَّت نِيَّتُهُ**" قَالُوا: كَيْفَ تَصِحُّ النِّيَّةُ يَا أَبَا عَبْدِاللهِ؟ قَالَ: "**يَنْوِي رَفْعَ الجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ غَيْرِهِ**"[٣].

والعلم ضروري، ومنه ما هو فرض عين، مثل مسائل العقيدة والعبادات، ومنها ما هو فرض كفاية، وما انتشرت البدع والمخالفات في العقيدة وفي المنهج إلا بسبب الجهل، أسأل

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٧١٤)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان.
(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٦٤١).
(٣) مسائل ابن هانئ (١٦٨/٢).

الله أن يرزقنا العلم النافع الذي به نثبت على دين الله وعلى الحق، وأن ييسره لنا وأن يجعله قربة لنا يوم نلقاه.

فمن فتح الله عليه باب العلم فهو على خير عظيم، ومن لم يفتح الله له فلينطرح بين يدي ربه ويسأله بإلحاح أن يسهل له طريق العلم، وعليه أن يجتهد في تحصيله، ويصرف الأوقات لبلوغه، فالراحة لا تنال بالراحة والنعيم لا يدرك بالنعيم كما قيل.

وأذكر نفسي قبل الجميع بالإخلاص في طلب العلم؛ لأن من الذين تسعر فيهم جهنم يوم القيامة رجل تعلم العلم وعلمه!، نعم؛ تعلم العلم وعلمه، لكن كانت النية ليس خالصة لله، نسأل الله الثبات والإخلاص.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»[(١)].

أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا قرأ هذا الحديث يقع مغشياً عليه خشية أن يكون منهم، فماذا عسانا نقول نحن المساكين؟! فعن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ، دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٠٥).

فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً[١] فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ**»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

---

(١) أي شهق وأغشي عليه.

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (١٧١٢).

الله أكبر؛ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صحابي!، صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، لازمه وأخذ العلم منه مباشرة رضي الله عنه، وكان يخاف على نفسه هذا الخوف، يقع مغشياً عليه ثلاث مرات ويفيق إذا أراد أن يذكر هذه الحديث!، ونحن المساكين نردد هذا الحديث تكراراً ومراراً ولم يقع في قلوبنا شعرة مما وقع في قلبه رضي الله عنه وارضاه.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في وصف حالة صدر هذه الأمة وسلفها في طلب العلم: **"كان طالب العلم فيما مضى يسمع ليعلم ويعلم ليعمل ويتفقه في دين الله لينتفع وينفع فقد صار طالب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر ويحفظ ليغالب ويفخر"**[١].

كيف لو رأى حالنا اليوم والله المستعان، على طلاب العلم أن يصلحوا نياتهم ويحذروا كل الحذر من الرياء وحب الشهرة والظهور، حب الشهرة والظهور داء ابتلي فيه الكثير من طلاب العلم، وكما قيل أن حب الظهور يقصم الظهور.

قبول العمل يتوقف على ركنين أساسيين، لا يُقبَل العمل إلا بهما معا: الإخلاص مع المتابعة.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: **"الْعَمَل بِغَيْر إخلاص وَلَا اقْتِدَاء كالمسافر يمْلَأ جرابه رملا يثقله وَلَا يَنْفَعهُ"**[٢].

أخواتي في الله، العلم من أفضل ما تصرف فيه الأوقات، فينبغي قضاء جل الأوقات في تحصيله، واغتنام الأعمار في طلبه، فإن وقت الإنسان إن لم يغتنمه في الخير كانت له حسرة وندامة يوم القيامة، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا»**[٣]، كيف يتحسر من فاز بالجنة؟ وعلى ماذا يتحسر من نال الجنة؟ الجواب: **«عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا»** هل لأنهم عصاة؟ لا، أو هل لأنهم تركوا الصلاة والصيام والقيام؟ لا؛ هم في الجنة، إذاً لماذا الحسرة؟ لأنه ترك ساعة لم يملأها بذكر الله! لما يرى من

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية (صـ١٨).
(٢) الفوائد (صـ٤٩).
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٩٣) برقم (١٨٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب برقم (٩١٠).

الدرجات العليا فوقه ويرى ما لأهلها من أنواع النعيم، فيتحسر ويندم على فوات الأوقات التي لم يعمرها في مراضي الله، نسأل الله أن يوقظ قلوبنا من هذه الغفلة، لعلنا نتدارك الأيام القلائل القادمة من أعمارنا، اللهم بارك لنا في أعمارنا وأوقاتنا وجعلها في مراضيك.

٣- من أسباب الثبات على دين الله: **الإيمان والعمل الصالح**: قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]. قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"أَمَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَيُثَبِّتُهُمْ بِالْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفِي الْآخِرَةِ فِي الْقَبْرِ"**(١). أسأل الله لي ولكم الثبات في الدنيا على دين الله والعمل الصالح وفي الآخرة عند السؤال، وأن يجعلنا ممن قيل لهم ناموا نومة العروس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عبدالله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»**(٢).

الأعمال الصالحة سبب في نيل هذا الفضل العظيم في هذه الحديث، نسأل الله من فضله.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٠٢).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (١٠٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٢٤).

إذاً من أسباب الثبات على دين الله الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة جزء من الإيمان، ولهذا إذا زاد الإنسان عمله زاد إيمانه وزاد ثباته على دين الله، وإذا ضعف إيمانه قل عمله. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّسَاء:٦٦]، أي: لو فعلوا أوامر الله، وأوامر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ واجتنبوا نواهيهم؛ لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً على دين الله.

والإيمان يزيد وينقص، عن عُقْبَةَ بْنَ عَلْقَمَةَ قَالَ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ عَنِ الْإِيمَانِ، أَيَزِيدُ؟ قَالَ: "**نَعَمْ حَتَّى يَكُونَ كَالْجِبَالِ**"، قُلْتُ: فَيَنْقُصُ؟ قَالَ: "**نَعَمْ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ**"(١).

وقال الْقَاسِم بْن عبدالله سمعت أبا عَبْدالله أَحْمَد بن حنبل وقد سأله رجل عَنْ زيادته ونقصانه يعني الإيمان فقال: "**يزيد حتى يبلغ أعلى السماوات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع**"(٢).

يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، الطاعات واتقانها سبب عظيم في ثبات المسلم في الدنيا، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يداوم على الأعمال الصالحة، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إذا عمل عملاً أتقنه، وكان عمله ديمة، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»(٣).

فعلى سبيل المثال إن لم يستطيع المرء أن يقوم كما قام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إحدى عشر ركعة فلا يترك ثلاث ركعات، إن لم يستطيع أن يصوم صيام داود فلا يدع صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وإن لم يستطيع أن يصلي ثمان أو عشر ركعات من الضحى يصلي ركعتين، إن لم يستطيع أن يختم القرآن كل أسبوع فليختمه كل شهر، وهكذا.

وأعظم الطاعات الفرائض، ثم يتبعها بالنوافل، فالنوافل تقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ وكلما تقرب العبد من ربه تقرب إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جاء في الحديث القدسي: «**وَمَنْ تَقَرَّبَ**

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/١٠٣٠).
(٢) طبقات الحنابلة (١/٢٥٨).
(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٧٨٣).

مِنّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا[١]»، والنوافل سبب في نيل محبة الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[٢].

ولا شك أن من أحبه الله ثبته على دينه، من أحبه الله ثبته عند السؤال، وثبته على الصراط، نسأل الله أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه.

تنبيه مهم: هناك من أخرج العمل عن مسمى الإيمان، وهذا الاعتقاد مخالف لأهل السنة والجماعة؛ لأن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولهذا جاء عن عمير بن حبيب الخطمي وغيره من الصحابة: "**الإيمان يزيد وينقص**"، فقيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ فقال: "**إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه**"[٣].

فمن أخرج العمل عن مسمى الإيمان فهو مرجئ، ومن قال أن العمل هو شرط كمال فهو مرجئ، ومن قال أن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية فهو مرجئ، فالحذر من هذا الفكر الضال الذي تفشى بين الناس بسبب أئمة الضلال الذين ألبسوا على الناس دينهم.

يذكر أنه كان أحدهم يطوف مع مرجئ، وقال له أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان، فوقف الآخر وصرخ بأعلى صوته: يا أيها الطائفين طوافكم ليس من الإيمان، فهرب المرجئ[٤].

نعوذ بالله من هذا الفكر الضال ونسأل الله الثبات على السنة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٨٧).
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).
(٣) الإيمان الأوسط لابن تيمية (صـ٣٦٦).
(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٩/٣٢٠).

٤- من أسباب الثبات على دين الله **الدعاء**: أي سؤال الله الثبات، كما علمنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، وكان أكثر دعاء الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: فَقَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا**»(١).

ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بنفسه، ولا يثق أن في نفسه، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، الإنسان مادامت روحه في جسده يجب أن يخاف، الشبه خطافة والأنفس ضعيفة، فإذا كان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو من كسر الأصنام بيده وألقي بالنار عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بسبب التوحيد ومع ذلك خاف على نفسه وخاف على ذريته من الشرك، فكان يدعو ربه: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، عَنِ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: "**مَنْ يأمن البلاء بعد قول إبراهيم** ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ؟"(٢).

فماذا عسانا أن نقول نحن المساكين!، متى قلنا هذا الدعاء!، نحن أحوج من رسول الله بهذا الدعاء، فالإنسان يدعو الله في الليل والنهار بأن يثبته الله على دينه، يدعو في أوقات الإجابة، في السجود، بين الأذان والإقامة، قبل السلام في الصلاة، في الثلث الآخر من الليل وقت نزول الرب وهو الوقت الذي يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من يدعوني فاستجب له، وغيرها من أوقات الإجابة.

الدعاء سلاح قوي يستخدمه المسلم في جلب الخير ودفع الضر، ووالله فما أكثر النعم التي منَّ الله بها على عباده من الدعاء، وما أكثر النقم التي دفعها الله بسبب الدعاء، وحاجة العباد إلى الدعاء شديدة بل ضرورية، فالمسلم في هذه الدنيا لا يستغني عن الدعاء بحال من

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٩/١٦٠) برقم (١٢١٠٧)، والترمذي في جامعه برقم (٢١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٤٩).

الأحوال ولا في وقت من الأوقات، وسؤال الله الثبات من أهم الأدعية، ومن أهم ما يسأل الله عليه، الثبات عزيز، والله يحب من عباده أن يسألوه ويغضب منهم إذا تركوا سؤاله، فهو سبحانه القريب المجيب، يسأل المسلم ربه كل شيء، كل حاجة له، فإنه لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا ينقص من ملكه شيء، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(١).

سبحان الله المخلوق لو سئل من عدة أشخاص فقط، ربما اثنين أو ثلاثة بوقت واحد لتشتت وتضجر، بينما الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لو اجتمع الانس والجن كلهم من أول الخلق إلى آخرهم وسألوه سبحانه بوقت واحد، في أرض واحدة، فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص من ملكه شيء، لأن ملكه لا ينقص بالعطاء، وملكه سبحانه لا ينفد.

الدعاء باب خير، فاكثروا منه، فكم من نعمة أنعم الله بها علينا بسبب الدعاء، وكم من بلية ومصيبة دفعها الله بسبب الدعاء، فالدعاء يرد القدر، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»(٢). والدعاء يتصارع مع البلاء وقد يرده قبل نزوله كما جاء في الحديث، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "**وَلَهُ –أي الدعاء– مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْبَلَاءِ فَيَدْفَعُهُ، الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أَضْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ فَيَقْوَى عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيُصَابُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا، الثَّالِثُ: أَنْ يَتَقَاوَمَا وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ**"(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٧٧).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (١/٦٦٩) برقم (١٨١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٧٣٩).

(٤) الجواب الكافي (صـ١٠).

فلنسأل الله الثبات على دين الله ونسأله أن يعيذنا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يكفينا كل سوء وبلاء، وأي بلاء أعظم من عدم الثبات على دين الله؟ وأي بلاء أعظم من الانتكاسة بعد الهداية والعياذ بالله، فالشبه خطافة والفتن كثيرة ومحيطة من كل جانب، والحي لا تؤمن عليه الفتنه، والقلوب ضعيفة، قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا اجْتَمَعَتْ غَلْيًا»**[١].

وضرب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للقلب مثلاً آخر بقوله: **«إِنَّمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ مِنْ تَقَلُّبِهِ، إِنَّمَا مَثَلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ مُعَلَّقَةٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيحُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ»**[٢].

والله جَلَّ جَلَالُهُ أمر عباده بسؤال الهداية، ففي الحديث القدسي: **«يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»**[٣].

يقول ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الْعَبْد لَا يَسْتَغْنِي عَنْ تَثْبِيتِ اللَّهِ لَهُ طُرْفَةَ عَيْنٍ"**[٤].

نسأل الله الثبات وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، أسألوا الله الثبات على دينه إلى أن تلقوه، وأسأل الله أن يعرفنا بنعمه علينا، ووالله أن نعمة لإسلام أعظم نعمة، منَّ الله علينا بالإسلام من غير أن نسأله فضلاً منه، نسأله سبحانه الثبات عليه حتى الممات.

٥- من أسباب الثبات على دين الله **تأمل سيرة النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **وسيرة الأنبياء** عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، إذا تأملنا سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهديه وطريقته وأدبه ومعاملته، وسمته وخلقه يجد الواحد منا أموراً تزيد من إيمانه، وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يأتيه الرجل وليس على وجه الأرض أبغض إليه من رسول الله، فما أن يراه ويسمع حديثه ويرى أدبه وخلقه إلا ويتحول من ساعته وليس على وجه الأرض أحب إليه منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٩/٢٣٨) برقم (٢٣٨١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥١٤٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٢/٤٣١) برقم (١٩٦٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٣٦٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٧٧).

(٤) إعلام الموقعين (١/١٣٦).

فدراسة سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا شك أنها تزيد الإيمان وتزيد ثبات العبد على دين الله.

كانت شخصيته فريدة، جميل الخلق، فريد الصفات، جعلت قومه يسارعون إلى الاستجابة لدعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، لقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قائداً شجاعاً، وعابداً منيباً، وأباً عطوفاً، وزوجاً ودوداً، وجاراً وفياً، كان عليه الصلاة والسلام لا ينشغل عن جاراً ولا عن مريضاً، يلاطف الصغار قبل الكبار، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تأخذ بيده الجارية الصغيرة وتمسك بيده وتدور به بالأسواق ويذهب معها بصدر رحب مع كثرة مشاغله عليه الصلاة والسلام، كان يعود الصغار والكبار، حتى أنه عليه الصلاة والسلام عاد غلاماً يهودياً فأسلم بسببه، كان يعطي كل ذي حق حقه، كان يجالس الفقراء ويواسيهم ويشاركهم، كان أحكم الناس وأعدلهم، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أرحم الخلق بالخلق، يخدم أهل بيته ويشاركهم في أعمال المنزل، سَأَلَ رَجُلٌ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَلْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا؟ قَالَتْ: "**نَعَمْ، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ**"(١)، من تواضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله، مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لو أراد أن تكون الجبال بين يديه ذهباً لكانت، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ادخر حظه في الآخرة.

كان خلقه القرآن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٢)، عندما سألت عن خلق، كانت سيرته عليه الصلاة والسلام تطبيق عملي لما جاء به القرآن.

ما ترك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من خير ألا دل الأمة عليه، وما ترك من شر إلا ونهى الأمة عنه، وما من شيء يقربنا إلى الجنة إلا وقد أمرنا به، وما من شيء يقربنا من النار إلا ونهانا عنه.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤٢/٢٠٩) برقم (٢٥٣٤١)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن برقم (١٧٨٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤١/١٤٨) برقم (٢٤٦٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٨١١).

لم يتركنا نتخبط في الدنيا، بين لنا طريق الجنة، وحذرنا من النار وما الذي يقود إليها، كان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ كثير الاهتمام بأمته، رحيماً بهم شفيقاً عليهم، كان يبكي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ أمته، لأجلنا نحن، رحمة بنا، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٦]، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: «**اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، **وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: «**يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟**» **فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ **بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ»**[١].

(أمتي، أمتي، ويبكي): أي اللهم أرحم وارفق بأمتي، يتوسل إلى الله لنا عليه الصلاة والسلام.

كان يود أن يلتقي بأمته الذين يأتون من بعده عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»[٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٠٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٤٩).

يقف على الحوض بانتظار أمته، أي بانتظارنا نحن، ليسقي لهم الماء، يقول: «**وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»، قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**فَرَطكُمْ بِفَتْح الْفَاء وَالرَّاء وبالطاء الْمُهْملَة أَي: أَنا أتقدمكم، والفرط من يتَقَدَّم الواردين فيهيء لَهُم الإرشاء والدلاء وَعدد الْحِيَاض ويسقي لَهُم**"[١].

اهتمام شديد بأمته عليه أفضل الصلوات والتسليم، حتى أنه أَخَّرَ وادَّخَرَ دعوته ليوم القيامة لهم ؛ ليشفع لهم من رحمته بهم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢]، أسأل الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى ويرزقنا اتباعه في أقواله وأفعاله وفي كل أحواله.

وكذلك سير الأنبياء، من أسباب التي تعين على الثبات عل الدين، فدراستها فيها رفع للهمم وتثبيت للقلب، والدليل على ذلك قوله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿فُؤَادَكَ﴾ **أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر، كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به. وهي أيضا ثبات لكل صاحب رسالة، ولكل داع يدعو إلى الله. وقوله:** ﴿وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **أي: يتعظون به، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، ويتذكرون الأمور المحبوبة لله، فيفعلونها**"[٣].

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للتسلية، وإنما لغرض عظيم؛ هو تثبيت فؤاد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأفئدة المؤمنين معه.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٧٦/٢٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٩٩).

(٣) تفسير السعدي (صـ٣٩٢).

فلو تأملنا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠]، تأملوا هذا الثبات أمام هذا العذاب، خمسون ليلة يجمعون له الحطب، حتى قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**فَمَكَثُوا مُدَّةً يَجْمَعُونَ لَهُ حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْهُمْ كَانَتْ إِذَا مَرِضَتْ تَنْذِرُ لَئِنْ عُوفِيَتْ لَتَحْمِلَنَّ حَطَبًا لِحَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ**"(١)، لكن لأجل الإيمان واليقين فيما عند الله الذي في قلب خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمر الله النار أن تكون برداً وسلاماً عليه، نار عظيمة خمسين ليلة والحطب يجمع لها، ويرمى بالمنجنيق لأنهم لا يستطيعون أن يقتربوا منها من قوة لهبها، نار تأكل الأخضر واليابس، جعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم، ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾، الإيمان واليقين والتوكل على الله، فمن توكل على الله فهو حسبه، يثبته، أمام الفتن، يثبته أمام المصائب، نسأل الله صدق التوكل والاعتماد عليه.

٧- ومن أسباب الثبات على دين الله: **ذكر الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

ومن وسائلِ الثَّباتِ على دينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ المداومةُ على ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ وقرن الله عَزَّوَجَلَّ الذكر بالثبات في آيةٍ في كتابه الكريم، وفي موقف من أشدِّ المواقف، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الذِّكْرِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: الْأَوَّلُ- اذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ جَزَعِ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّ ذِكْرَهُ يُعِينُ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الشَّدَائِدِ...**"(٢).

فيأتي الثبات من شدة الذكر، يعني: ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يثبت الإنسان في كل المواقف، ومن أحرج المواقف.

---

(١) البداية والنهاية (١/٣٣٧).

(٢) تفسير القرطبي (٨/٢٣).

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: "**الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ**"(١).

ينبغي على المسلم ألا يغفل عن الذكر؛ فهو حصنٌ منيع للمؤمن من كيد الشيطان، وذكر الله يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، والذكر أمان من تسلط الشيطان فهو يريد أن يزعزع الشيطان ويلبس عليه دينه، الذكر وهو أزكى الأعمال، ويثقل الميزان وترفع درجات الذاكر عند الله، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى**»(٢).

ورتَّب الله على الذكر الكثير من الفضائل والأجور، وأضرب مثالاً على ذلك مِن ذكر "سيد الاستغفار"، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»، قَالَ: «**وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٣).

الذكر من أفضل وأجل الطاعات، وسبب في نيل مراضي الله، وقد ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– أنّ فوائد الذكر تتعدى المئة فائدة، فيستحب ذكر الله في الليل والنهار، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**»(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٧٥٤/٢٤).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٢٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٠٦).

(٤) رواه الترمذي في جامعه برقم (٣٣٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٧٠٠).

من فضل الله تعالى أن جعل الذكر محيطًا بالمسلم في كل أحواله، وجعل له أذكارًا لكل وقت ولكل حال، فالمسلم إذا استيقظ مِن نومه له ذكر مخصوص يذكر الله به، وإذا دخل الخلاء، وإذا خرج له ذكر مخصوص، وإذا لبس ثوبه له ذكر مخصوص، وإذا توضأ، وإذا خرج إلى المسجد له ذكر مخصوص، وإذا دخل المسجد أو خرج له ذكر مخصوص، وإذا خرج مِن بيته إلى عمله له ذكر مخصوص، وإذا رجع له ذكر مخصوص، وإذا ركب دابته، وإذا أكل أو شرب له ذكر مخصوص، وهكذا في كل جوانب الحياة لا يفارقه ذكر الله؛ فمن كان هذا حاله؛ من أين يأتيه الشيطان؟!، نعم، كيف يأتيه الشيطان والشيطان يفر من ذكر الله.

فإذا كثرت مِن حولك الفتن، ونزلت بك البلايا؛ فأعظم الحصون التي تلجئين إليها هو ذكر الله؛ أما سمعت قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فاللهم يا مثبت القلوب، ثبت قلوبنا على طاعتك.

٨- ومن أسباب الثبات على دين الله: **الصحبة الصالحة:**

والصحبة الصالحة هم الصالحون مِن المؤمنين والعلماء، فالجلوس معهم من أعظم العون على الثبات، فالصحبة الصالحة خير معين على الثَّبات على طاعة الله عز وجل، تأمَّل قول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يقول: "**إخوانُنا أحَبُّ إلينا من أهلِنا وأولادِنا؛ لأنَّ أهلَنا يُذكِّرُوننا بالدنيا، وإخواننا يُذكِّرُوننا بالآخرة**"[1].

لأن الصحبة الصالحة خير معين على الاستقامة، الصحبة الصالحة يعينون على التنافس في الخير، أهل الدنيا يتنافسون على الدنيا، أما الصحبة الصالحة خير معين على التنافس للآخرة.

(١) إحياء علوم الدين (٢/١٧٦).

وسُئلَ محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي العمل في الدنيا أفضل؟ قال: "**صُحْبةُ الأصحاب، ومحادثةُ الإخوان، إذا اصطحبوا على البرِّ والتَّقْوى**"(١).

ففي ظل هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن والملهيات، يجب التمسك بالصاحب التَّقِي الذي يُعين على مواصلة السَّير والثبات على الحق؛ يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ فَشُدَّ يَدَيْكَ بِهِ فَإِنَّ اتِّخَاذَ الصَّدِيقِ صَعْبٌ وَمُفَارَقَتُهُ سَهْلٌ**"(٢).

فمن أسباب الثبات على طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ،أن يمن الله على الإنسان بأخوان ناصحين، صادقين، فتمسَّكُوا بهم؛ فإنما المرءُ بأخيه؛ المرء يقوى بالصحبة الصالحة، قال داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لرجل طلب منه الوصية: "**صَاحِبْ أَهْلَ التَّقْوَى، فَإِنَّهُمْ أَيْسَرُ أَهْلِ الدُّنْيَا مُؤْنَةً عَلَيْكَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَكَ مَعُونَةً**"(٣).

هذا في الدنيا، وأما في الآخرة، فاسمعوا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، وقول نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(٤).

والمرء يتأثر بمن حوله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِوَسَلَّمَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»(٥).

ولذلك فقد حذَّر الله في القرآن الكريم من الصحبة السيئة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٦٢/٥٦).
(٢) حلية الأولياء (١٢١/٩).
(٣) حلية الأولياء (٣٤٦/٧).
(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٦).
(٥) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٨٣٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٤٥).

عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾، فالصحبة الصالحة تُعين العبد على سلوك الحق واتّباع أوامر الله.

فعليكم برفقة الصالحين؛ فإنها ثبات ونجاة، والحرص على مصاحبة ومجالسة العلماء والدعاة إلى الله، فهي خير صحبة في الدنيا والآخرة، إن مجالسة العلماء والصالحين، تذكرك بالجنة وتزهدك في الدنيا، وإن مجالسة العلماء والصالحين تهون عليك مصائب الدنيا، وشدائدها ومحنها.

انظر إلى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يحكي عن دور شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تثبيت أصحابه، قال: "**وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله؛ فينقلب انشراحًا وقوة، ويقينًا وطمأنينة** "[١].

الإنسان مدني بطبعه، يحب بطبيعته أن يخالط الناس، لكن الاختلاط بالناس فيه خطورة الانشغال عن العبادة واللغو وكثرة اللغط، لذا فالإسلام يوجّه المسلم أن يختلط بالصالحين، وأن يصبر نفسه معهم، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف:٢٨].

إن من يوفقه الله سبحانه للصحبة الصالحة فليحمد الله ويتمسك بهم، ونسأل الله أن يرزقنا وذرياتنا الصحبة الصالحة المعينة على الحق والثبات.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٤٨).

آثار الثبات على دين الله

إنّ الدّين الذي بعث الله به رسوله محمّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الثقلين، فيه كلّ ما يكفل السّعادة للعالمين، في حياة الفرد والمجتمع، فأسعَدُ الخلق أكثرهم تمسكًا بهذا الدّين، وهذه السّعادة ليست فقط في الآخرة، بل أهل الطّاعة والثبات على الدّين يسعدهم الله، فتُحفَظُ عليهم صحتهم بسبب بعدهم عن المعاصي والآثام، والثابتون على الدين هم أهل الرفعة في الدنيا والآخرة، منشرحة صدورهم، مطمئنة قلوبهم.

وآثار الثبات على دين الله تنقسم لقسمين: دنيوية، وأخروية.

فمن الآثار الدنيوية:

١. محبة الله لأهل الثبات على الدين:

أهل الثبات والاستقامة على الدين هم أولياء الله وأحباؤه، فمحبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا تنال بالنسب، ولا بالحسب، وإنما تنال بالثبات على الدين والاستقامة عليه.

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١].

ومن اتبع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ثبته الله على الدين.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الآية الكريمة: "**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "اتَّبِعُوا شَرِيعَتِي وَسُنَّتِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**"(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ**

---

(١) معالم التنزيل (٢/٢٧).

الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[١].

لقد أشار هذا الحديث إلى تقرير مسألتين مهمتين في هذا الباب:

الأولى: أنّ محبّة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لا تنال إلاّ بطاعته، وأنّ المؤمنين في طاعة الله على درجتين. يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ: أَحَدُهُمَا: الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَيْهِ بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَهَذِهِ دَرَجَةُ الْمُقْتَصِدِينَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَأَدَاءُ الْفَرَائِضِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي خُطْبَتِهِ: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا افْتَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ هَذِهِ الْفَرَائِضَ لِيُقَرِّبَهُمْ مِنْهُ، وَيُوجِبَ لَهُمْ رِضْوَانَهُ وَرَحْمَتَهُ.....الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: دَرَجَةُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ بِالِاجْتِهَادِ فِي نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَالِانْكِفَافِ عَنْ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ بِالْوَرَعِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ لِلْعَبْدِ مَحَبَّةَ اللَّهِ"[٢].

الثانية: أنّ المداومة على النوافل والثبات عليها بعد أداء الفرائض بها تنال محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا جزاء من جنس العمل، فإنّ دوام طاعة الله، وخاصة بالنوافل، والورع من فعل المكروهات دليل على ما في القلب من الحب الخالص للهتَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وبهذا ينال حبّ الله جَلَّ جَلَالُهُ له.

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فليس عند القلوب السّليمة والأرواح الطّيّبة، والعقول الزّاكية أحلى، ولا ألذّ، ولا أطيب، ولا أسرّ، ولا أنعم من محبّته والأنس به، والشّوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كلّ حلاوة، والنّعيم الذي يحصل له بذلك أتمّ من كلّ نعيم، واللذّة التي تناله أعلى من كلّ لذّة"**[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٦-٣٣٧).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/١٩٧).

٢. حفظ الله لأهل الثبات على الدين:

إن من رحمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعباده المؤمنين، الثابتين على الدين، أنه يحفظهم في دينهم ووكذلك في دنياهم، يحفظهم في دينهم بأن يوفقهم لطاعته، واتباع سبيل مرضاته، ويجنّبهم المعاصي والوقوع في الموبقات، ويدل على ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١)..

دل الحديث على حفظ الله تعالى لأوليائه، الثابتين على الفرائض مع النوافل، بأن الله تعالى يحفظ لهم جوارحهم من الوقوع في معصية الله تعالى، فيحفظ لهم أسماعهم وأبصارهم وأرجلهم وأيديهم وكذلك ألسنتهم وأفئدتهم كما جاء في رواية أخرى(٢).

فأهل الثبات على دين الله تعالى، قد حفظوا الله تعالى، فأثابهم الله تعالى بحفظهم في الدين والدّنيا، أمّا في الدّين، فإنّ جزاء الحسنة، حسنة بعدها، وأمّا في الدّنيا فيحفظهم من كلّ مكروه، يحفظ لهم أبدانهم وأولادهم وأموالهم.

يقول ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ: "**وَحِفْظُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ يَدْخُلُ فِيهِ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: حِفْظُهُ لَهُ فِي مَصَالِحِ دُنْيَاهُ، كَحِفْظِهِ فِي بَدَنِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:** ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّوْا عَنْهُ. وَقَالَ عَلِيٌّ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ**: إِنَّ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ يُقَدَّرْ فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ...قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنِ اتَّقَى اللَّهَ فَقَدْ حَفِظَ نَفْسَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَ تَقْوَاهُ، فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ عَنْهُ. النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْحِفْظِ، وَهُوَ أَشْرَفُ النَّوْعَيْنِ: حِفْظُ اللَّهِ لِلْعَبْدِ فِي دِينِهِ وَإِيمَانِهِ، فَيَحْفَظُهُ**

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٤٦/١١).

فِي حَيَاتِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ الْمُضِلَّةِ، وَمِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ دِينَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَيَتَوَفَّاهُ عَلَى الْإِيمَانِ... وَفِي الْجُمْلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْفَظُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْحَافِظِ لِحُدُودِ دِينِهِ، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ دِينَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحِفْظِ، وَقَدْ لَا يَشْعُرُ الْعَبْدُ بِبَعْضِهَا، وَقَدْ يَكُونُ كَارِهًا لَهُ"(١).

قال أحد السلف: **"ما عصيت الله تعالى بعضو منها في الصغر، فحفظها الله عليّ في الكبر"**.

وهذا أبو الطيب الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، توفي سنة ٤٥٠ هـ، مات يوم مات وهو صحيح العقل والفهم والأعضاء، يفتي ويشتغل إلى أن مات، وقد ركب مرّة سفينة، فلما خرج منها، قفز قفزة لا يستطيعها الشباب، فقيل له: ما هذا يا أبا الطيب؟ فقال: **"هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة، تنفعنا في الكبر"**(٢).

٣. سعة الرزق وكثرة النعم:

إن من أعظم أسباب الرزق، الثبات على الدين، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، أي ليسرنا عليهم الخير والرزق من كل جانب.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦]، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"لوسعنا عليهم في الرزق وبسطناهم في الدنيا"**(٣).

وسعة الرزق لمن ثبت على دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جاءت من وجوه كثيرة، يمكن اغتنامها في الدنيا، رتب الشارع على بعض العبادات أنها سبب في نماء الرزق ترغيباً لها، منها:

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٦٥-٤٦٩).

(٢) انظر: صفة الصفوة (٢/٤٩٣).

(٣) جامع البيان (٢٣/٦٦٢).

▪ **الاستغفار**: قال عَزَّوَجَلَّ عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

قال السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أي اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، واستغفروا الله منها** ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ **كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، فرغّبهم بمغفرة الذّنوب، وما يترتب عليها من حصول الثّواب، واندفاع العقاب، ورغّبهم أيضًا بخير الدّنيا العاجل فقال** ﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ **أي مطرًا متتابعًا، يَرْوِي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد،** ﴿وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾ **أي: يكثر أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدّنيا وأولادكم** ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾ **هذا من أبلغ ما يكون من لذات الدّنيا ومطالبها**"[١].

▪ ومنها **الطاعات عمومًا**: وبالأخص الصلاة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

قال السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ﴾: "**أي: رزقك علينا قد تكفّلنا به، كما تكفّلنا بأرزاق الخلائق كلّهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟**"[٢].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ**

---

(١) تفسير السعدي (صـ٨٨٩).

(٢) تفسير السعدي (صـ٥١٧).

كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»[(١)].

ينبغي أن نجعل هذا الحديث نصب أعيننا، حديث عظيم ينبغي أن نتذكره دوماً.

▪ ومنها **صلة الرّحم**: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[(٢)].

فصلة الرحم سبباً شرعياً لبسط الرزق وسعته، وأيضاً لطول العمر وزيادته زيادة حقيقية، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعد من يصل رحمه أن يثيبه وأن يجزيه بأن يطيل في عمره، وأن يوسع له في رزقه جزاءً له على إحسانه، وكما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠].

٤. صلاح ذرية أهل الثبات على الدين:

الثبات على الدين من أسباب صلاح الذرية، فإنّ من توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ لعبده أن يبارك له في ذريته وينشئهم نشأة صالحة، فأولى النّاس بهذا التّوفيق –صلاح الذرية– من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هم أهل الثبات على دين الله، وقد نص الله على هذا الأصل من كتابه العزيز في موضعين من سورة الكهف.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف:٨٠-٨١].

فقد بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الآية أنّ سبب قتل الغلام كان عدم مناسبته لوالديه المؤمنين، فمن أجل حفظ دين الوالدين، قتل الخضر الغلام ليبدلهما الله غلامًا تَقَرَّ به عينهما إذ يكون أقرب رحمًا.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٣١٦٩).

(٢) متفق عليه.

قال السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وكان ذلك قد قدّر عليه أنّه إذا بلغ لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، أي لحملهما على الطغيان والكفر، إمّا لحبهما إيّاه، أو للحاجة إليه...فقتلته لاطلاعي على ذلك، سلامة لدين أبويه المؤمنين، وأيّ فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟! وهو وإن كان فيه إساءة، وقطع لذريتهما، فإنّ الله تعالى سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه"**[١].

وفي الآية الأخرى يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٨٣].

فأخبر تعالى أنّ حفظه لليتيمين كان لسببين أحدهما: أنّهما كانا يتيمين فهما يستحقان الرحمة والعناية، والسبب الآخر أنّ أباهما كان صالحًا فكان يحفظ حدود الله فحفظه الله في ذريته[٢].

ومن آثار الثبات الأخروية:

١. الثبات على كلمة التوحيد عند الموت:

إذا ثبت العبد على دين الله تعالى في حياته، واستقام على أمره، أكرمه الله تعالى برحمته وفضله بأن يموت على كلمة التّوحيد، وهي علامة خير لمن يوفق لها، وكلمة التوحيد هي شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله.

فمن حقق التوحيد وأخلص دينه لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فإن الله يوفقه برحمته للثبات على كلمة التوحيد التي من نطق بها في آخر حياته مؤمناً بها عاملاً بمقتضاها دخل الجنة بإذن.

(١) تفسير السعدي (صـ٤٨٣).
(٢) تفسير السعدي (صـ٤٨٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ولقد كان من أصول الإيمان أن يثبت الله العبد بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، **وكلمة الشهادة أصل العقيدة، فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وعلى أساسها يقوم العمل من قول باللسان وعمل بالجوارح، وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد، والاعتقاد أن لا إله إلا الله"**[١].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فهذه الكلمة هي شجرة الإيمان، أصلها في قلب المؤمن علماً وعملاً واعتقاداً، وفرعها من الكلم الطيب، والعمل الصالح، والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة، في السماء دائماً، يصعد إلى الله منه الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره، فإن الله تعالى يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من الاستقامة على الطّاعة والتقرب إلى الله تعالى بفعل المأمور وترك المنهي إيمانًا بالله تعالى وتصديقًا برسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، **فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية على اليقين والعلم، وعند ورود الشهوات بالإرادة الجازمة، بتقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة"**[٢].

نسأل الله العظيم أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويرزقنا الاعتصام بالكتاب والسنة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٧٤).

(٢) تفسير السعدي (صـ٤٩٢–٤٩٣).

٢. الثبات في عَرَصَات يوم القيامة:

من آثار الثبات على الدّين، تثبيت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده المؤمنين في أحوج وقت لهم؛ تثبيتهم في المحشر يوم القيامة، تثبيتهم في عرصات يوم القيامة.

ففي عرصات القيامة ينجي الله المؤمنين الصادقين ويثبتهم على الحق كما ثبتهم في الحياة الدنيا بإيمانهم وإخلاصهم.

لما كان أهل الثبات قد استقاموا على دين الله تعالى في الدّنيا، وآمنوا بالغيب حيث كفر النّاس؛ فإنّ الله يثبتهم يوم القيامة وخاصة في عرصات القيامة، في هذا اليوم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦]، وفي هذا اليوم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢]، فهنا تظهر الحاجة الملحة إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ.

والناس متفاوتون في هذا الثبات، وقد جاء في الحديث الصحيح النّص على بعضهم، مثل السبعة الذين يظلهم الله تحت ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»(١).

وغير هؤلاء خلق كثير، الذين منَّ الله عليهم بالاستقامة في الدّنيا، فيجازيهم بذلك يوم القيامة بالثبات في عرصات القيامة.

---

(١) متفق عليه.

٣. النظر إلى وجه الله جَلَّجَلَالُهُ:

إن من أهمّ آثار الثبات على الدين مطلقًا، النظر إلى وجهه الكريم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ورؤيته سبحانه هي أعلى مراتب نعيم الجنّة، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدّين؛ وإن كانوا في الرؤية على درجات على حسب قربهم من الله ومعرفتهم به** "(١).

فأهل الثبات يفوزون بالنظر إلى وجهه الكريم، وهم في منازلهم في الجنة، كما ثبت ذلك بالنصوص من الكتاب والسنة:

فمن الكتاب قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فقد ذهب العلماء إلى أن الزيادة هنا هي النظر إلى وجه الله لأهل الجنة بعد أن دخلوا منازلهم في الجنة.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: "**أَيْ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا الْحُسْنَى، وَهِيَ الْجَنَّةُ، وَزِيَادَةٌ: وَهِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ** "(٢).

ومنها قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، وقد فسرت الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم.

وأما من السنة: فعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»، **ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/٤٨٥).

(٢) معالم التنزيل (٤/١٣٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨١).

خوف السلف من سوء الخاتمة

سوء الخاتمة هي المصيبة العظمى والخسارة الفادحة والشقاء الأبدي، ومعناها أن يموت العبد على حالة سيئة لا ترضي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

ومن أسباب سوء الخاتمة: فساد العقيدة، وترك الفرائض، وارتكاب المحرمات، والركون إلى الدنيا وشهواتها.

يقول عبدالحق الإشبيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَأعلم رَحمك الله أَن لسوء الخاتمة أعاذنا الله مِنْهَا أسبابا وَلها طرق وأبواب أعظمها الإكباب على الدُّنْيَا والإعراض عَن الْأُخْرَى والإقدام بالمعصية على الله تَعَالَى"**[١].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَاعْلَم أَن سوء الخاتمة أعاذنا الله مِنْهَا لَا يكون لمن استقام ظَاهره وَصلح بَاطِنه وَإِنَّمَا يكون ذَلِك لمن كَانَ لَهُ فَسَاد فِي الْعقل وإصرار على الْكَبَائِر وإقدام على العظائم"**[٢].

عن عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المِصْدُوقُ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى لاَ يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**»[٣].

وعَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: التَقَى النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وَالمشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي المسْلِمِينَ رَجُلٌ لاَ يَدَعُ مِنَ المشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلاَ فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلاَنٌ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فَقَالُوا: أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: لَأَتَّبِعَنَّهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ، حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ

---

(١) العاقبة في ذكر الموت (صـ١٧٨).

(٢) المرجع السابق (صـ١٨٠).

(٣) متفق عليه.

نِصَابَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ**». فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(١).

ومن هنا كان خوف السلف من الخواتيم، فهذه الآثار النبوية قطّعت قلوب الصالحين، وأطارت النوم من أعينهم، فماذا عسى أن يقول المفرطون والله المستعان!، فلا أحد يدري بما يختم له، ولا يدري أيكون موته على خير أم على شر، فكم سمعنا ونسمع عمَّن آمن ثم كفر، وعمَّن استقام ثم انحرف.

قال أبو الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "**ما أحدٌ أَمِنَ على إيمانه ألَّا يُسْلَبَهُ عند الموت؛ إلا سُلِبَهُ**"(٢).

قال ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُ: "**كَانَ يَشْتَدُّ خَوْفُ السَّلَفِ مِنْ سُوءِ الْخَوَاتِيمِ...وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قُلُوبَ الْأَبْرَارِ مُعَلَّقَةٌ بِالْخَوَاتِيمِ، يَقُولُونَ: بِمَاذَا يُخْتَمُ لَنَا؟**"(٣).

فهذا كان حال السلف الصالح، يخافون من سوء الخاتمة والموتَ عليها؛ لأنهم لا يعلمون بما يُختم لهم.

ومما ورد في الخوف من سوء الخاتمة:

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "**وَلَقَدْ بَكَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ: كُلُّ هَذَا خَوْفًا مِنَ الذُّنُوبِ؟ فَأَخَذَ تِبْنَةً مِنَ الْأَرْضِ، وَقَالَ: الذُّنُوبُ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا أَبْكِي مِنْ خَوْفِ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْفِقْهِ: أَنْ يَخَافَ الرَّجُلُ أَنْ تَخْذُلَهُ ذُنُوبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ الْحُسْنَى**"(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٢٠٧).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (صـ٣٠٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/١٧٣).

(٤) الجواب الكافي (صـ١٦٧).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ جَعَلَ يُغْمَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَفِيقُ وَيَقْرَأُ: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ، فَمِنْ هَذَا خَافَ السَّلَفُ مِنَ الذُّنُوبِ، أَنْ تَكُونَ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ الْحُسْنَى"(١).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لِلنُّفُوسِ الْخَيِّرَةِ عَلامَاتٌ: الْجِدُّ فِي الْغَالِبِ، وَالْحَذَرُ مِنَ الزَّلَلِ، وَالاحْتِقَارُ لِلْعَمَلِ، وَالْقَلَقُ مِنْ خَوْفِ السَّابِقَةِ، وَالْجَزَعُ مِنْ حذر الخاتمة"(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الِاعْتِبَار بالخاتمة، قَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ: هَذِهِ الَّتِي قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْحَالِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ بِمَاذَا يُخْتَمُ لَهُمْ"(٣).

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "**(والأعمال بالخواتيم): الإنسان لا يغتر بعمله وإن كان أصلح الصالحين، بل يخاف من سوء العاقبة، ولا يحكم على أحد بأنه من أهل النار بموجب أفعاله؛ لأنه لا يدري بماذا يختم له...فالإنسان يخاف من سوء الخاتمة، ولا يحكم على أحد بسوء الخاتمة؛ لأنه لا يدري بما يختم له**"(٤).

نسأله سبحانه الثبات عند الممات وعند السؤال، ونسأله حسن الخاتمة.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) التبصرة (١/١٣٤).
(٣) فتح الباري (١١/٤٨٨).
(٤) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية (صـ١١٠).

الخاتمة

الثبات على الدين من أفضل وأجل النعم، فمن استقام على الدين ثبته الله على الدين، فأهل الاستقامة؛ يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

الثبات على الدّين توفيق الله لعبده ورحمته به، والعبد الذي لا يثبت على الدين فلا بدّ أن يشبه إحدى الطائفتين: المغضوب عليهم أو الضالين، فإن انحرف مع الجهل كان من الضالين، وإن كان عالماً مع الانحراف ففيه شبه بالمغضوب عليهم، وكلتا الطّائفتين مطرود ملعون من رحمة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فعلى العبد أن يثبت في وجه الفتن التي يبتلينا الله بها، مثل فتنة المال وفتنة الجاه وفتنة الأولاد، وعليه أن يسأل ربه دائماً الثبات، وإن بعض ما نراه من مظاهر الانحراف عن دين الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يجعلنا نعيد حساباتنا، وأن نخشى على أنفسنا من الهلاك، وأن نخشى من سوء الخاتمة.

علينا أن نستنَّ بنبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ وندعو دائماً: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**».

وعلينا كذلك أن نقابل هذه الفتن بالتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فالله هو حسب المؤمن، وهو كافيه ومثبته.

أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يثبتنا على طاعته، وأن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربِّ العالمين.